

# نظرة جديدة في اعتد رايك ولد النافعة لحياتي

د. زائد احمد ابراهيم

يتفق عدد من المعنيين بـ دراسة الأحداث التي عاشها الإنسان العربي قبل الإسلام أن مهمة الباحث في تاريخ تلك الحقبة ليست باليسيرة، لما يكتنفها من غموض ولدته شحة في الأدلة المادية التي ورثناها عن ذلك التاريخ، مما كان مدعاة لتضارب في الآراء واختلاف في التفسيرات ولهذا صارت وسيلتنا إلى متابعة ذلك الماضي قاصرة على المؤلفات التي كتبت بعد طول من الزمن واتساع في المسافة الحضارية ولا ينبغي عن ذلك ما لهذا من أثر سلبي في كل عمل يراد به الوصول إلى حقيقة يهتم بها الباحث فيها. فهو عندما يرجع إلى هذه المؤلفات يجد نفسه أمام سيل طاع من الأخبار والروايات المتضاربة التي جمعت على غير هدي من منهج علمي يقوم على الدراسة الدقيقة. فالحدث التاريخي قد يتحول في بعض الأحيان إلى قصة كأن كاتبها يتصدى لتسليّة جمهوره، لا إلى تحيّن واضح لعالم لحظة فرضت وجودها على إنسان ذلك العصر. (١) وغالباً ما يتعدّد الأمر وتستعصي الحقيقة علينا عندما نتبين أن مؤرخي تلك الفترة يعتمدون إلى اقتباس ماقاله سادّيوهم دون إعمال بصيرة تنفذ إلى أعماق ماورثوه، بل الأعجب من هذا أن يعتمد الخلف إلى نقل ما انتجه السلف دون أن يكاف نفسه عناء صياغة لغوية جارية، فالخبر نفس الخبر والاسلوب نفس الاسلوب (٢). ومهما كانت الصورة أو قربت فالأمر سواء بالنسبة للينا، إذ مادام المنهج واحداً فإننا نظل نأثني في منازة ذلك المؤرخ الذي نسي أن يترسم دروبها. وقد يرهقنا المسير ولما نشرف على واحدة نستظل بها، فهو نفسه لم يحن من أدوات البحث العلمي إلا خيالاً يجمع في لحظة ليغني كل الحدود الفاصلة بين الحقيقة العلمية والغرائب والخرافات والمبالغات يقول الاستاذ جرجي زيدا في حديث له عن مؤلفي كتب التاريخ في هذا التاريخ إلى أمد غير بعيد مجموع غرائب وخرافات ومبالغات تتناقلها الأجيال بلا تحقيق ولا تمحيص ولا تردد بل ينقل إلا اضطراباً وإبهاماً. وقد زادت في أثناء العصور الوسطى تلبكاً على أثر انحطاط شأن العرب وذهاب دولتهم إذ ارادوا ستر ضعفهم بما يروى عن أجدادهم، فعمدوا إلى التفاخر بما لا يفهم الفاتحين وما كانوا عليه من المناقب العربية، فزادوا أخبارهم مبالغة أو جمعوها وأكثرها منها بلا تعيّل ولا ضبط فغلبت الأوهام فيها على الحقائق وذهب الصحيح منها بجريرة الفاسد. (٣) وإذا كان للمؤرخين القدامى ما يفتح لهم في مجانبتهم أصول المنهج العلمي في البحث،

- 
- ١ - مقدمة ابن خلدون - مطبعة الكشاف - بيروت ص ٤؛ وص ٩ وما بعدها
  - ٢ - انظر في هذا تاريخ الطبري، الكامل لابن الأثير، تاريخ ابن الوردي، كتاب المختصر في اخبار البشر لابن الفداء وغيرها.
  - ٣ - جرجي زيدان - العرب قبل الإسلام - منشورات دار مكتبة الحياة - بيروت ١٩٦٦ ص ٧

فما بال بعض مؤرخينا المحدثين ، ممن ارتضوا اخبار أولئك المؤرخين على تناقضاتها ، فصارت مؤلفاتهم لا تختلف من حيث الجوهر عما وقعت عليه أيديهم من كتب التاريخ (٤).

وأنا حين أبأبحثي بهذا الحديث لم أقصد إلى الكشف عن الثغرات الموجودة في دراسة التاريخ العربي قبل الاسلام ، وإنما اردت أن يقدر القارى مقدار ما يهنيه أي باحث قد يجد نفسه يبحث في مسألة تناولها أهل التاريخ والأدب معاً . وقد أكد هذه الحقيقة قوم عرفوا بزيارة علمهم وصبرهم على البحث فكان هذا التاريخ عندهم « طلاس ضاع سرها واستحال حلها » (٥).

وإذا كان ماضونا به ، واقع المؤلفات التاريخية فيه شيء من التعميم ، فإن الأمر يزداد تعقيدا عندما يخوض المؤرخون في تاريخ الكيانات السياسية التي وجدت على الأرض العربية قبل الاسلام ، لأن الخوض في تاريخ تلك الكيانات يازم الباحث أن يكون شديداً الحذر وإلا ضاعت الفائدة المرجوة من مسعاه . وما يهمننا من أمر تلك الكيانات دولتان نشأت احدهما في العراق والأخرى في الشام ، واعني بهما دوايتي المناذرة والغساسنة ، لما لهما من صلة وثيقة بالحياة الأدبية في العصر السابق لظهور الاسلام بصورة عامة وبالإبنة الأوباني بصورة خاصة . فقد ذكرت الأخبار أن ملوك هاتين الدولتين فتحوا الأبواب أمام الشعراء ليسبحوا بمجدهم ، لما قدموه من هبات وعطايا ، وما توفر لديهم من أسباب ترف أغرت الشاعر بالتخلي عن رسالته الانسانية ، وفرقت بينه وبين واجبه في الالتزام بقضية انسان ذلك العصر الذي كتب عليه أن يضطهده السادة ملوكاً كانوا أو شيوخ قبائل . وقد نسأل هنا هل استطاع المؤرخ أن يضع بين أيدينا حدوداً واضحة للدرب الذي يراد منا أن نسلكه ، بحيث نقدم لمعاصرينا مادة تتناسب في دقتها ومتطلبات عصر العلم ؟ للإجابة عن هذا السؤال استعين بما صادفني من الآراء التي وجدتها في أكثر من مصدر .

هناك شبه اجماع لدى المؤرخين المحدثين على ان تاريخ هاتين الدولتين العربيتين يلفه الغموض نتيجة ميل بعض المؤرخين القدامى إلى التلفيق الشديد. إن في التاريخ أوفي اللغة (٦) . لكننا

---

٤ - وجدت مثل هذا في عدد من المؤلفات التاريخية الحديثة . اذكر منها مؤلف السيد عبدالعزيز سالم (في العصر الجاهلي - دار النهضة العربية - بيروت ١٩٧٠) ومؤلف الدكتور نبيه عاقل (تاريخ العرب القديم وعصر الرسول - دمشق ١٩٦٨) . إضافة إلى نماذج أخرى قد نتطرق إليها في أثناء البحث .

٥ - جرجي زيدان - العرب قبل الاسلام ص ٨

٦ - نولدكه - امراء غسان/ ترجمة بندلي جوزي وقسطنطين زريق - منشورات الجامعة الأميركية المطبعة الكاثوليكية - بيروت - ١٩٣٣ ص ٥٤

وجدنا من يقول إن تاريخ دولة الحيرة قد يبدو أوضح من تاريخ الغساسنة . وفي هذا يقول الأستاذ يوسف غنيمه «ومهما كان من أمر غموض تاريخ دولة الحيرة، فإنه أوضح من تاريخ دولة الغساسنة في الشام ، وثابت منه لأنه كان مدوناً في كتب الحيرة ، مثبتاً في كتاباتهم وأشعارهم ، وفيها أنسابهم وأخبار ومبالغ أعمار من ولي منهم للأكاسرة وتاريخ نسبهم وعليها كان معول المسلمين فيما أوردوا من أخبار الدولة » (٧) .

إن مثل هذا ليس بالجدل على المصادر العربية . فقد روي عن ابن الكلبي أنه كان يستخرج أخبار العرب وأنساب آل نصر بن ربيعة ، ومبالغ أعمار من عمل منهم لآل كسرى وتاريخ سنيهم من بيع الحيرة وفيها ملكهم وأموالهم كلها (٨) . إلا أن مثل هذه الأخبار لا بد أن تثير في النفس بعض التساؤل . ولعل أول ما يخطر بالبال لماذا لم يتدر لغير ابن الكلبي أن يطالع على تلك الكتابات . وحسب ظني أن مثل هذا السؤال ربما خطر ببال الطبري نفسه، لذا تراه في الصفحة نفسها يقول « فاما ابن حميد فإنه حدثنا في أمر ولد نصر بن ربيعة ومصيرهم إلى العراق غير الذي ذكره هشام » . ثم أين ذهبت تلك الكتابات ؟ إن من قاموا بالحفريات هناك لم يثروا حتى الآن على كتابات جاهلية تتحدث عن تاريخ تلك المداينة القديمة السيئة الحظ (٩) .

رب قائل يقول هل يمكننا أن نرفض ما جاءنا من هذه الدولة لأننا لانملك الدليل المادي الذي يبرز ما رواه الأخباريون ؟ للجاجة عن هذا السؤال نود القول أولاً إننا لانرفض تلك الأخبار برمتها. إنما كنا نبغي أن نذكر مثل هذا السؤال أن دعوى وضوح تاريخ الحيرة لانملك السند الذي يبعد عنها شبح الشك، وبخاصة إذا عرفنا أن ابن الكلبي وهو فارس الحلبة في هذا الميدان ما كان بالمرجع الذي يمكن الاعتماد عليه اعتماداً كلياً ، لأن خياله الجامح أباح له أن يضع من أخبار الحيرة ما يترهبه من الأساطير إضافة إلى ما أثقت به من تناقض ولكي تتضح الصورة في ذهن القارئ الكريم نورد في الآتي رأي الدكتور جواد علي في هذا الرجل حيث يقول « وتاريخ الحيرة مع سعته وكثرة ما يروي الأخباريون منه لا يخلو بالنسبة الي من اضطراب وتناقض . فنعنا أحياناً إلى العجب من قول ابن الكلبي إنني كنت استخرج أخبار العرب وأنساب آل نصر بن ربيعة ومبالغ أعمار من عمل منهم لآل كسرى وتاريخ سنيهم من

٧ - يوسف رزق الله غنيمه - الحيرة المدينة والمملكة العربية - مطبعة دنكور الحديثة - بغداد ١٩٣٦ ( المقدمة )

٨ - تاريخ الطبري - طبعة غوييه - ج ٢ ص ٧٧٠  
٩ - د. جواد علي - تاريخ العرب قبل الاسلام - مطبعة المجمع العلمي العراقي ١٩٥٤ ج ٤ ص ٨

بح الحيرة . فرجل يدعي هذه الدعوى ويستقي اخباره من مواردها الأصلية لايحوز صدور روايات عنه يناقض بعضها بعضاً ، وأخبار لا تؤيد هذا الزعم . فللرجل روايات عن حادث واحد تثبت إن صح أنها له ، أن الرجل لم يكن صاحب رأي ولا اجتهد في ما يري « (١٠) » وقد يور في خلدنا أن التاريخ العربي لم يكن من صنع ابن الكابي وحده . فهناك من الاسماء مثل الطبري ، وحمزة ، والمسعودي واليعقوبي وغيرهم ممن يمكن الاعتماد عليهم لكن هذا الاعتقاد يتضاءل إلى الحد الأدنى عندما نواجه بذلك التناقض العجيب فيما أورده هؤلاء وغيرهم من الاخباريين مع أنهم يتمتعون في الكثير على مصدر واحد . ترى كيف نفسر هذه الظاهرة بنير القصور عن امتلاك طرف من الحقيقة (١١) .

ويبدو أن الاستاذ يرسف غنيمة شعر فيما يبد أن الأرض التي يتف عليها كانت رخوة مما دعاه إلى التراجع عن حماسه للدولة التي أراد مخلصاً أن يتدم لنا صورة قريية من الحقيقة عنها ، فاعترف يقول « إني مهما بذلت من الجهود لأخرج كتابي هذا كاملاً مستوعباً تاريخ ماينة الحيرة ومملكته ، فإن عقبات كأداء حالت دون تحقيق هذه الرغبة بأنهم مظاهرها ، منها نثر الأخبار وتضاد المرويات واضطراب الروايات وطموس الحقائق وفقدان الوثائق على توالى الزمان وتعاقب الحدثان » (١٢) .

وإذا انتقلنا إلى تاريخ دولة العباسية فإن أول ما يجابهنا كون أمرها ليس أقل تعقيداً من الذي لقيناه مع دولة المانذرة . وبخاصة إذا تبينا أن عناية المؤرخين العرب بتاريخ هذه الدولة كانت أقل من العناية بثقيقتها . وحتى هذا القليل كان كثير الاختلاط والاضطراب لتناقضه ونقصه ومخالفته في بعض اجزائه لحوادث الدول المعاصرة (١٣) . ويرد الاستاذ نولدكه سبب هذا إلى جهل المؤرخين بتاريخ تلك الدولة فهم لم يكونوا يرفون منه إلا أن ولاد الشام كانت يرماً ملكاً لبني جفنة . وقد بالغوا كثيراً في تقاير مدة حكمهم ويكفي هنا أن أشير عرضاً - والقول لنولدكه - إلى أن حمزة ينسب بعض الأبنية إلى امراء من بني جفنة لم تثبت حقيقة وجودهم وبد « (١٤) » ضمن هذا الاطار التاريخي يجدر بنا أن نقف عند

---

١٠ - جواد علي - تاريخ العرب قبل الاسلام ص ١٠ ، ١١ . وقد ذهب الدكتور شوقي ضيف إلى ماذهب اليه الدكتور جواد علي - انظر في هذا كتابه - العصر الجاهلي - دار المعارف

مصر - ط ٣ ١٩٦٠ ص ١٥٥

١١ - د جواد علي - تاريخ العرب قبل الاسلام ص ١١

١٢ - يوسف غنيمة - الحيرة - المقدمة .

١٣ - جرجي زيدان - العرب قبل الاسلام - ص ٢٤٧

١٤ - نولدكه - امراء غسان - ص ٥٥ انظر في هذا كذلك - فيليب حتي - تاريخ العرب المجلد

الاول ط ٣ - مطبعة العالم العربي - القاهرة ١٩٥٢ ص ٩٢

ملوك الدولتين ، لان أمر البعض منهم يهنا بتدر ماله من صلة بمحاولتنا هذه . فالمتبع لأخبار أولئك الملوك لابد أن يجاب: بالغموض الذي يكتنف اخبارهم . من ذلك أن الاخباريين لم يتفقوا على قائمة واحدة على الرغم من كل مزاعم ابن الكلبي وغيره . وقد وجدت من القوائم ما يثير العجب . فمن الاخباريين من يطيلها ومنهم من يقصرها ، ومنهم من يستقي قائمة دونما تمحيص لتكون نسخة اخرى لعمل سابق (١٥) . وهذا الاختلاف في القوائم التي بين ايدينا وضع أمام المؤرخين المحدثين من عرب ومستشرقين صعوبات جمة ، ما زالت تجابه كل من يبغى دراسة تاريخ هاتين الدولتين ومعرفة حقيقة أمر ملوكهما (١٦) . فهل من تفسير لهذه الظاهرة عدا الذي اشرنا اليه من قبل ؟ أظن أن ثمة مؤثرات ولدتها طبيعة الحياة الأدبية كان لها دور بارز في هذا المضمار . فقد تولدت في نفسي قناعة بأن الشعر كان مصدرا يعتمد به في دراسة حياة أولئك الملوك . وما بين ايدينا من المصادر يعزز من قناعتي هذه . ذلك أنني وجدت في أكثر من واحد منها أن المؤرخ يستعين بتول ينسب لهذا الشاعر أو ذاك عندما يحوز الدليل لاثبات صحة دعواه . ولا اظننا بحاجة إلى اثبات ما يتطلبه هذا المنهج من حذر شديد وهو ما نفتقده لدى العديد من الاخباريين . يضاف إلى الشعر ما خلفه القصص التاريخي من أثر ، يرم أضفى على سيرة أولئك الملوك مسحة اسطورية بتعدد كثيراً عن ارض الواقع . وقد يزداد الامر تعقيداً وغموضاً عندما يوقعنا الشاعر أو القصاص في حيرة تأتي من عدم المقدرة على التمييز بين جماعة مختلفة من أولئك الملوك يحملون الاسم نفسه (١٧) . وكمثل اسوقه ليتضح في اذهاننا ما كان للشعر من أثر في اضطراب اخبار أولئك الملوك ، أن الاستاذ نولدكه احصى المسافة الزمنية بين اول ملك غساني اتصل به النافذة الديلمي وبين آخر عهد له بملوك الغساسنة لما جاء في القائمة التي وضعها حمزة الاصفهاني في فوجدها في حدود خمسين وميتين من السنين . والأمر قد يبدو معكوساً ، فقد يطول عمر الشاعر نتيجة تطبيق خاطيء على ملوك الغساسنة كما حدث لحسان بن ثابت وابي زيد الطائي (١٨) .

١٥ - يستطيع القارئ ان يرجع في هذا إلى العديد من كتب الاخباريين العرب . ولكنني اذكر على سبيل المثال قائمة ابي الفداء في مؤلفه - كتاب المختصر في اخبار البشر - دار الفكر دار بيروت ١٩٥٦ ، لان قائمته كانت حسب ظني اعجب ماوردنا عن ملوك الغساسنة.

١٦ - جواد علي - تاريخ العرب قبل الاسلام ص ١٢

١٧ - تشير دائرة المعارف الاسلامية إلى مسألة التشابه في الاسماء وما يسببه هذا التشابه من تعقيد ص ٩٥٣

The Encyclopaedia of Islam Vol III ص ٩٥٣

١٨ - انظر في هذا ما ذكره حمزة الاصفهاني في كتابه - تاريخ سني ملوك الأرض والانباء - منشورات دار مكتبة الحياة - بيروت ١٩٦١ ص ١٠١ - ١٠٣ ، وما اشر اليه الاستاذ نولدكه - امراء غسان - ص ٧١

كذلك فإن عدم امتلاكنا رؤية واضحة لواقع الحياة الأدبية في بلاط المناذرة يجعلنا غير قادرين على الاعتداد بالشعر بوصفه وثيقة تاريخية « ما دامت معطيات المؤرخين عن تلك الحياة في وقت تدوينها مختلطة بناصر اسطورية ومثقلة بالنوادر ومشوهة بتأثير الوسط العراقي وبلاط الخلافة » (١٩) .

هناك تساؤل قد يثيره البعض ، إذا كنا لانطمئن أحياناً إلى ما ذكره الاخباريون العرب ، ترى الا يمكن أن تكون المصادر اليونانية واللاتينية مساعداً لنا ؟ يتول الدكتور جواد علي في معرض حديثه عن هذه المصادر . إن أهميتها قد تبدو محدودة في القاء الضوء على تاريخ المناذرة والغساسنة ، وهي عدا هذا ليست بعيدة عن مواطن النقد والشبهات . والشيء نفسه قد يسمح على المؤلفات السريانية ، فهو لا ينكر فضلها في تدوين هذا التاريخ ، ولكنها كما يرى ليست على الاجمال كالمؤلفات اليونانية واللاتينية في الدقة وفي النقد « (٢٠) .

غير أن مسألة يتداخل فيها التاريخ والحياة الأدبية كالمسألة التي هي موضع بحثنا قد لا تجد في المصادر الأجنبية قبساً تهدي به . ولهذا السبب لا يبقى ما يساعدنا على تأويل امرنا ، الا المصادر العربية القديمة والحديثة ومؤلفات المستشرقين . وما دامت المسألة التي نود معالجتها ذات صلة وثيقة بالحياة الأدبية كما أسلفنا ، لذلك نود الوقوف عند مصادر الدراسات الأدبية ، وبخاصة ما يتعلق منها بالشعر العربي قبل الاسلام ، كي نقول كلمتنا فيها .

ليس بعيد عن إلنا أن ما يصحح على مصادر الدراسات التاريخية يصحح كذلك على مصادر الدراسات الأدبية ، من حيث عدم قدرتها على تمكيننا من رؤية واضحة لعطاء اسلافنا . وقد تكون الاسباب كثيرة لكنني الخصب في الآتي عدداً منها هي حسب ظني ذات أهمية خاصة .

- ١ - إن الرواية الشفوية كانت المعول عليها . ولم يحدث أن دون العرب شعرهم إلا بعد أن اتسعت الشقة بين الشاعر والمدون . ونحن أدري بما لهذا من أثر سلبي ، وبخاصة اذا اضفنا استغلال عدد من الرواة لهذا الواقع فحملوا على الشعر الكثير الذي افسده (٢١) .
- ٢ - إن التحولات التي طرأت على المجتمع العربي آنذاك ، ولدت موقفاً حضارياً جديداً ،

---

١٩ - بلاشير - تاريخ الاب العربي - المجلد الثاني - ترجمة د. ابراهيم كيلاني مطبعة

وزارة الثقافة - دمشق ١٩٧٣ ص ١٨٢ ، ١٨٣

٢٠ - جواد علي - تاريخ العرب قبل الاسلام ص ١٣ - ١٤

٢١ - ابن سلام طبقات فحول الشعراء - دار المعارف - مصر ١٩٥٢ ص ٤٩ - ٥٠

اخضع عملية استيعاب التراث الشعري العربي لمؤثرات آتية أحياناً ، مما ألقى ظلالاً  
حالت دون رؤية سليمة لذلك الماضي .

٣ - عدم وجود ضوابط زمنية تعيننا على متابعة المراحل التي مر بها الشاعر ، وانعدام  
تلك الضوابط عندما يتعلق الأمر بنتاجه الفني ، مما يجعل عملنا في تتبع تطوره ضرباً  
من الخدس قد يصل حد المجازفة .

٤ - هناك قضية نلاحظها فيما بين أيدينا من مصادر تتمثل في أن البعض منها عدا عن  
مجانبة المنهج العلمي ، يبدو أحياناً وكأنه لا يختلف عن مجموعة من حكايات أريد بها  
أن تكون مادة يتسامر بها أبناء الطبقة السائدة . وحسب ظني أن الجانب الترفيهي  
يغلب فيها لدرجة تضائل عندها الجانب العلمي . أما سبب هذا فمرده الى أن كثيراً من  
المؤلفين ارتضوا لانفسهم الاندماج الكلي بـ"إيرولوجية هذه الطبقة" (٢٢) وكثّل على  
هذا نذكر الاغاني والعقد الفريد على مقدار فضلها على الأدب العربي .

إن هذه المصادر نقلت اخباراً كثيرة عن سيرة النابغة الذبياني ، واهتمت بعلاقته بملوك المناذرة  
والغساسنة ، مع تركيز شديد على علاقته بالنعمان بن المنذر . ويبدو لنا أن بعض المؤرخين  
أباح لنفسه أن يصور العلاقة بين النابغة والنعمان بشكل يفوق كل التصورات التي في  
أذهاننا عما كان بين الملوك والشعراء . لكن هذا لم يمنعنا من أن نقف عند هذه المسألة وقفة  
متأنية تحذونا في ذلك رغبة من في نفسه شوق إلى استخلاص ما يتبله المنطق السليم . وأكثر  
ما عمق الرغبة هذه أن وجدنا المحدثين ممن شغلوا بسيرة هذا الشاعر بين قانع بما لديه حتى  
صار عنده من المسلمات التي لا تحتاج الى مناقشة كما فعل ديرنبورج في مقدمة ديوان النابغة (٢٣) ،  
وبين باحث عن مبرر يخضع لمؤثر حضاري آني كما فعل الدكتور طه حسين وتبعه العشماوي  
وشوقي ضيف والدسوقي وإوليا حاوي (٢٤) .

لعل أول سؤال يتبادر الى الذهن يتعلق بمدى اقتناعنا بما شجنت به كتب الادب من  
حكايات قيلت في صلة النابغة الذبياني بالنعمان ملك الحيرة . ولسنا بحاجة للاجابة عنه لأننا  
سبق أن أشرنا في بدء دراستنا هذه الى ضرورة الحذر . غير أن السؤال الذي يمكن أن يتصل

---

٢٢ - كولنجود - مبادئ الفن - ترجمة د. احمد حمدي محمود - الدار المصرية . التأليف  
والترجمة ١٩٦٦ - يتحدث المؤلف في ص ١٥٥ عما يشبه هذه الظاهرة في الادب الاوربي.

٢٣ - د . محمد زكي العشماوي - النابغة الذبياني - دار المعارف - مصر ١٩٦٨ - ط ٢ ص ١٠٠ .

٢٤ - سيأتي الحديث عن هذا في الاقي من البحث .



والمسألة ذاتها يختص بهذين الرجلين . فهل كانا معروفين تمام المعرفة عند من روى لنا سيرتهما . ولنبدأ أولاً بالناوفة .

هناك شبه اجماع على أن حياة هذا الشاعر لم تكن بالوضوح الذي يميننا على تقرير حقيقة ناصعة فهو كما يقول الدكتور طه حسين «من الشعراء الجاهليين الذي عمي أمرهم على الرواة فلم يعرفوا عن حياتهم شيئاً أو لم يكادوا يعرفون عنها شيئاً» . (٢٥) أما بلاشير فإنه لا يختلف عن هذا الرأي عندما يقول ( إن شخصية النافذة ذات «تاريخية» لا يمكن انكارها بالرغم مما انتابها من تشويه احدثته الحكايات والنوادر ) . (٢٦) وتبدو وجهة الرأيين عندما نلجأ الى مصادر سيرته . مما ان تقرأ شيئاً عن الرجل حتى نكتشف أن الرواة عجزوا عن تمكيننا من تفسير محدد لسبب تلقيبه بالناوفة . وقد تسألني قائلًا وما قيمة هذا؟ أقول إن اهمية هذه المسألة تظهر بشكل واضح عندما يتعلق الأمر بالسن التي قال فيها الشعر . (٢٧) وعدا هذا فان الأمر يبدو أشد تعقيداً عند الحديث عن شعره . فهل نحن مطمئنون الى ما وصلنا منه كل الاطمئنان؟ هنا لابد من تحديد واضح ، اذ على أساس منه قد نهتدي الى طرف من الحقيقة .

لدينا أكثر من راو لشعر النافذة ، وهم بين بسمري وكوفي . فأبي الفريقتين أوثق؟ قبل الاجابة عن هذا السؤال يحذرنا بلاشير من الاعتماد التام على المؤرخين العراقيين الذين حاولوا أن يؤكدوا مكانة هذا الشاعر في بلاط قبلوا وجوده ، لكن عطاءه الشعري لا يهدينا الى تقبل هذه المزاعم لان ما يعد من شعره الذي يزعم المؤرخون أنه قيل في ملوك المناذرة لا يتفق والتقليد الذي ازهر في اواسط الحيرة الحضرية . (٢٨) وهذا الرأي يبدو مقبولا تماماً اذا اكتشفنا بمض التناقض القائم بين مميزات شعر النافذة وطبيعة البيئة العراقية التي اختلفت عن البيئة الصحراوية من حيث علاقات الانتاج . فهي بيئة كانت قد دخلت في علاقات الانتاج الزراعي . لكنك تقرأ شعر النافذة فلا تجد فيه الا ما يؤكد عمق انتمائه الى علاقات الانتاج الرعوي (٢٩) وهي علاقات أقرب الى الغساسنة منها الى المناذرة ، وبخاصة اذا عرفنا

---

٢٥ - د. طه حسين . من تاريخ الادب العربي - المجلد الاول - دار العلم للملايين : بيروت ١٩٧٠ ص ٢٩٩ .

٢٦ - بلاشير - تاريخ الادب العربي - ج ٢ ص ١٢٧ .

٢٧ - يمكن الرجوع في هذا الى الاغاني والشعر والشعراء والخزانة على سبيل المثال .

٢٨ - بلاشير - تاريخ الادب العربي ج ٢ ص ١٢٨ .

١١٤-١٠٧ (Rad · Beograd) Umetnost i drustmi zivot (Plehanof (29)

يمكن الرجوع الى هذا الكتاب حيث يتفضل بليخانوف في الحديث عن سمات الفن الرعوي)

أن الواقع الغساني أشد التصاقاً بالبادية . (٣٠) ربما ينهم من هذا أني أرمي الى نفي ماجاءنا من شعر النابغة . إنني لم أرد أكثر من تأكيد ضرورة الحذر من قبول ما نملك من نصوص تنسب إلى هذا الشاعر . وكان ابن سلام قد أشار الى هذا في بعض مما نسب اليه (٣١) أما اما ما يخص الأجوبة عن السؤال المطروح ، فالدكتور شوقي ضيف يرى بأننا لانستطيع أن نعتد في دراسة شعر النابغة الا على مارواه الاصمعي (٣٢) لان الاصمعي كان أعرف الرواة بالصحيح والمخول ، وقد أيده الدكتور عمر الدسوقي في تزكية الرجل . (٣٣) إلا أن الدكتور شوقي ضيف والدسوقي يترفان أن عمل الاصمعي لم يسلم من التحريف والزيادة . ولهذا نرى الدكتور شوقي ضيف يعمد إلى تنقية مارواه الاصمعي فيحذف خمس قصائد ويبقى على سبع عشرة مع إقراره بأنها لاتخلو من بعض أبيات أدخلت في روايتها (٣٤) وإني وان كنت أملك شيئاً من التحفظ على دراسة الدكتور شوقي ضيف ، لكنني أسمح لنفسني بأن اعتمد الرأي القائل : ان شعر النابغة حمل في طياته الكثير مما لاتصح نسبته اليه لأن النحل قد تغلغل فيه أكثر مما تغلغل في شعر غيره ممن أطلق عليهم الدكتور طه حسين اتباع المدرسة البيانية (٣٥) .

وبين هذا الشعر سبع قصائد قيل أن النابغة الذبياني قصد بها النعمان بن المنذر معتزلاً . لكن الباحث المتفحص قد يسأل نفسه ، لماذا كان اعتذار النابغة لهذا الملك ؟ هل ارتكب ذنباً بحقه فأثار في نفسه كوامن غضبه ، فكان لابد من أن يزِيل باعتذار ياتسـه هذه ما علق في قلب النعمان ؟ مثل هذا وغيره من الاسئلة تدور في الذهن كلما حاولنا ان نفهم الحادثة فهماً يزِيل الغشاوة التي القت بثقلها عليها . وقد وجدت أن أفضل سبيل أسلكه هو في الرجوع إلى الاصول التاريخية لعلاقة النابغة الذبياني بالمناذرة ، فلربما يتمودني تحليلها الى رأي نظمئن اليه .

٣٠ - نولدكه : ادراء غسان - ص ٥٢ - ٥٣

٣١ - ابن سلام - طبقات فحول الشعراء ص ٤٩ - ٥٠

٣٢ - د. شوقي ضيف - العصر الجاهلي - ص ٢٧٨

٣٣ - د. عمر الدسوقي - النابغة الذبياني - دار الفكر العربي - مطبعة الرسالة - مصر ١٩٦٦ ص

ط ٤ ص ١٣٣

٣٤ - د. شوقي ضيف - العصر الجاهلي - ص ٢٧٧

٣٥ - د. طه حسين - من تاريخ الادب العربي ص ٣٠٢

يزعم بعض الرواة أن اتصال النابغة الذبياني بملوك الحيرة يعود إلى زمن يسبق تولي النعمان بن المنذر ملك الحيرة . فابن قتيبة يدعي أن النابغة اتصل بجده وابيه ( ٣٦ ) ويبدو ان بعض مؤرخي الادب من المحدثين أغراه الرأي فجعل صلته بالحيرة قائمة منذ عام ٥٣٠ م ( ٣٧ ) . لكنني أرفض مثل هذا الزعم اعتماداً على ابن سلام الذي يرى ان الذي اتصل بالمناذرة في ذلك التاريخ كان النابغة الجعدي وليس النابغة الذبياني . ويررد في هذا المجال قول الجعدي :

تذكرت شيئاً قد مضى لسبيله

ومن عادة المحزون ان يتذكرا

نداماي عند المنذر بن محرق

فأصبح منهم ظاهر الأرض مقفرا

كهول وفتيان كأن وجوههم

دنائير مما شيف في ارض قيصر ( ٣٨ )

والموقف نفسه أقفه من الرأي القائل ان النابغة الذبياني كان على صلة بعمرو بن هند ملك الحيرة . ولي في قول ابن سلام ما يؤيد صحة الموقف « وكان النابغة الذبياني مع النعمان بن المنذر وفي عصره ولم يكن له قدم » ( ٣٩ ) وعدا هذا فان الديوان خلو من اية إشارة تستند دعوى صلة النابغة الذبياني بعمرو بن هند . ولكن سائلا قد يسأل من اين كان مصدر هذا الزعم ؟ نجيب عن هذا بالقول ان الرواة خلطوا بين عمرو بن الحارث ملك الغساسنة وعمرو بن هند ملك المناذرة ، كما اختلط الأمر على بعضهم بين النابغة الذبياني والنابغة الجعدي .

٣٦ - ابن قتيبة - الشعر والشعراء ج ١ دار الثقافة - بيروت ١٩٦٤ ص ٩٨

( ذكر بروكلمان ان النابغة نادم المنذر بن الثالث والرابع والنعمان ابن المنذر ، ولا ندري ما السند الذي اعتمد بروكلمان في زعمه هذا .

بروكلمان - تاريخ الادب العربي . ترجمة د. عبد الحليم النجار - ج ١ ط ٢ - جامعة الدول العربية دار المعارف - مصر ١٩٦٨ )

٣٧ - عمر فروخ - تاريخ الادب العربي ج ١ - دار العلم للملايين بيروت ١٩٦٥ ص ١٧٨

٣٨ - ابن سلام الطبقات ص ١٠٤ - ١٠٥

٣٩ - ابن سلام - الطبقات ص ١٠٤ ( لقد اوردت القول هذا لأنني أردت به نفي ما يقال عن

صلة النابغة الذبياني بعمرو بن هند ، لكنني في الوقت

ذاته سأناقش في الاقي ما يقال عن صلة النابغة بالنعمان

بن المنذر ) .

فقد ظن بعضهم ان قصيدة النابغة التي مطلعها .

أثاركة تدلها قطـام

وضناً بالتحية والكلام

كانت قد قيلت في عمرو بن هند ، وكان قد غزا الشام بعد مقتل المنذر (٤٠). لكنك عندما تقرأ القصيدة كما رواها الاصمعي تجد ان الغازي لم يكن عراقياً بل كان واحداً من ملوك الشام . ويرد نولدكه سبب هذا الخطأ إلى اعتقاد الرواة أن الأمير الذي يكنى في هذه القصيدة بـ (ابن هند) . هو عمرو بن المنذر . لكن هذا الاعتقاد سرعان ما يبدو خطأه عندما نكتشف ان البلد الذي تعرض للغزو ليس الشام وانما كان العراق حيث يتول النابغة :

فدوخت العراق فكل قصر

يحلل خندق منه وحام

كذلك نرى ان الجيوش كانت قد قدمت من الشام بدليل بيت آخر يتول النابغة على أثر الأدلة والبغايا

وخفق الناجيات من الشآم

ناهيك بما في القصيدة من اشارات تنطبق على امير غساني لاعلى أمير لخمى . من ذلك ان الامير المدوح كان قد وجه احدى غزواته إلى الأنم . فأوردهن بطن الأنم شأماً

يصن المشي كالحذاء الثؤام

وهو موضع يتبع في بلاد سليم على بعد تسعة اميال فقط من المسلح ، والمسلح هو المنزل الرابع بين مكة والكوفة . يضاف إلى هذا ذكر (الحسمى) . وأضحى ساطعاً بجبال حسمى

دقاق الرب محترم القنام

» وهو موضع لا يزال إلى اليوم يعرف بهذا الاسم . وقد كان قبلاً منزل قبيلة جذام ، وكان داخلا ولاشك في اعمال بني جفنة — كما يتول نولدكة — « (٤١) .

---

(٤٠) ديوان النابغة الذبياني-تحقيق د شكري فيصل- دار الفكر - بيروت ١٩٦٨ ص ١٥٨

٤١- راجع في كل ما قبل بشأن القصيدة في امراء غسان - نولدكه ص ٣٩ - ٤٠ وشعراء النصرانية قبل الاسلام - لويس شيخو - ح ١ ط ٢ - دار المشرق - بيروت ١٩٦٧ والنابغة - د . العشماوي ص ٥٤ - ٥٧

٤٢ - الاغاني ج ١١ - دار الكتب - مصر ١٩٣٨ ص ١٩ - ٢٠

أما كنيته بـ (ابن هند) فان هذه الكنية تنطبق كذلك على امرء غسان لان اسم هند لم يكن مما اختص به المناذرة دون الغساسنة ولنا في شعر النابغة الذباني ما يؤيد صحة ما ندعى. واليك في الآتي مارواه صاحب الاغانى من ابيات قيل ان النابغة خص بها النعمان بن الحارث الأصغر ملك الغساسنة يرم كان غلاما صغيرا .

هذا غلام حسن وجهه

مستقبل الخير سريع التمام

للحارث الأصغر والحارث الـ

أعرج والحارث خير الأنام

ثم لهند ولهند وقد

أسرع في الخيرات منه إمام

سنة آبائهم ماهم

هم خير من يشرب صوب الغمام (٤٢)

من كل ما تقدم يتضح لنا وهم من قالوا بأن النابغة اتصل بالمنذر او بمرو بن المنذر . ولهذا لا يبقى أمامنا الا معالجة الأخبار التي رويت عن اتصال النابغة بالنعمان بن المنذر ، مادام الديوان لا يتقدم لنا غير ما يشير إلى هذه الصلة . والحديث عن هذه المسألة لا بد أن يتودنا إلى سؤال ، ربما يشبه السؤال الذي سبق ان اجبنا عنه عند حديثنا عن النابغة . ترى إلى أي مدى كان النعمان معروفاً لدى الاخباريين ؟ .. هذا السؤال دفعني إلى دراسة ما سجلته كتب التاريخ عن سيرته وكان مأثراً دهشتي ان وجدت ان ما قبل فيها لا يتناسب وحجم السعة التي كان يتمتع بها في مخيلة المؤرخين . فهي في الغالب مجموعة من الأخبار مثلت اطاراً تاريخياً مهلهلاً لنصوص شعرية او أمثال تكشف بنفسها عن زيفها ، مما جعلها أقرب إلى الأساطير منها إلى الحقيقة التاريخية (٤٣) فالرجل مجهول الهوية ، لكن الاخباريين صنعوا منه اسطورة ودلينا على هذا ان القصة التي حكيت بمناسبة تسنمه عرش الحيرة أكبر برهان على ما نقول والا كيف يصدق العقل ان كسرى وهو المسيطر على العراق لا يعرف شيئا عن اولاد المنذر (٤٤) ثم نخضي في متابعة سيرته فنكتشف أن الرواة على اختلاف كبير في نسبه . فمرة تراه من

(٤٣) جواد علي - تاريخ العرب قبل الاسلام ج ٤ ص ٩٠ «ولانعلم من أعمال النعمان

شيئاً كثيراً يتناسب مع المدة التي حكمها » انظر كذلك روتشتاين ص ١١١

٤٤ - ذكرت القصة في اكثر من مصدر . وعلى سبيل المثال يمكن للقارئ الرجوع إلى تاريخ

المقبوي - المجلد الاول - ص ٢١١ - ٢١٢ و يوسف غنيمه - الحيرة ص ٢٠١، ٢٠٢

بتيعة ربيعة بن نصر (٤٥) ومرة من ولد قنص ابن معد (٤٦) واخرى ان والده المنذر من أعقاب ساطرون ملك الحضرم من تنوخ قضاعة ، وغير ذلك انه من ولد عجم بن قنص الا ان الناس صحفوا عجم وجعلوا مكانه لخم (٤٧) الا أننا نلمس من هذا الفيض المشوش ان الاخباريين يخلطون بينه وبين النعمان بن الحارث ملك الغساسنة . وهأنا اروي ما قاله البلاذري في نسب النعمان بن المنذر «وقال بعض الرواة : لم يبق لقنص بن معد عقب وكان النعمان بن المنذر من تميم ونسب إلى لخم . وان عمر بن الخطاب أتى بسيف النعمان فأعطاه جبير بن مطعم وقال له — وكان نساوة — ممن كان النعمان ؟ فقال من قنص بن معد واحتج من روى هذا بتول النافذة الذياني .

فان يرجع النعمان نفرح ونبتهج

ويأت معدا ملكها وربيعها (٤٨)

وعندما نرجع إلى ديوان النافذة نجده قد قال البيت والذي يمدّه في النعمان بن الحارث الأصغر .  
واليك البيت التالي لتؤكد من صحة ما ذهبنا اليه .

ويرجع إلى غسان ملك وسؤدد

وتلك المنى لو اننا نستطيعها (٤٩)

أما كنيته (أبي قابرس) فهي كما بداني من صنع الشعراء . لكنها لم تخل من اختلاف في أصلها يقول الزبيدي في التاج «والقابرس الرجل الجميل الوجه الحسن اللون . عن ابن الاعرابي (وابوقابرس) كنية النعمان بن المنذر بن امرئ القيس بن عمرو بن عدي اللخمي (ملك العرب) وجعله النافذة أبو قيس للضرورة مصغره تصغير الترخيم فقال يخاطب يزياً بن عمرو بن خويلد .  
فان يندر عليك أبو قيس

تخط ذك المنية في هوان

وقابرس اسم اعجمي (معرب كادوس) ووه لقب الملوك الكيانية » (٥٠) وبحث عن

٤٥ - الطبري - غويية ح ٢ ص ٧٧١ وابن خلدون - كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر

ج ٢ مطبعة النهضة - مصر ١٩٣٦ ص ٤٧ - ٤٨

٤٦ - البلاذري - انساب الاشراف ج ١ معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية بالاشتراك

مع دار المعارف ١٩٥٩ ص ٢٣ ، وسيرة ابن هشام ج ١ مطبعة المدني مصر ١٩٦٣ ص ٥

٤٧ - ابن خلدون - كتاب العبر ص ٤٧ ، ٤٨

٤٨ - البلاذري - انساب الاشراف ص ٢٣

٤٩ - ديوان النافذة : تحقيق د . شكري فيصل - القصيدة ص ١٢٣

٥٠ - الزبيدي - تاج العرويس - المجلد الرابع - مطابع دار صادر - دار بيروت ١٩٦٦

( انظر مادة قيس ) ان البيت الذي يستشهد به صاحب التاج يرد ضمن قصيدة شك الدكتور

شوقي ضيف في نسبتها إلى النافذة . العصر الجاهلي - ص ٢٧٨

الكلمة في المعجم الذهبي ، فوجدت «كادوس» اسم احد ملوك الكيانية ، ينسب الاسم بعضهم إلى نمرود او فرعون وتعني طاهر ، لطيف ، أصيل . (٥١) لكن حمزة الاصفهاني يتناول فيه « وقرأت في بعض كتب السير أنه أحدث ببابل وبني بنية شاهقة في الهواء ، وأنا اقدرها البنية التي وراء بغداد المسماة بالعرقوف » . (٥٢) وفي هذا الاطار الذي يجمع فيه خيال الاخباريين يجعل ابن الاثير سني ملك كادوس هذا تفوق في عددها ما يمكن أن يتصوره العقل . (٥٣) وهناك من يحاول أن يجد للكلمة أصلاً عزياً ، فيجعلها مأخوذة من القبس وهو النار أو الشعلة من النار . (٥٤) ومهما يكن من أصل الكنية فقد ساورني الشك في صحة نسبتها إلى النعمان بن المنذر . وتأيد الشك عندما وجدت :

١ - أن الكنية نفسها كانت قد اطلقت على غيره . فابن الاثير يروي في حديثه عن يوم الرحرحان بيتاً للحارث بن ظالم يخاطب به النعمان بن امريء القيس جد النعمان بن المنذر فيقول :

حسبت أبا قابوس انك مخفري

ولما تذق ثكلاً وأنفك راغم (٥٥)

كذلك يثبت لويس شيخو بيتاً للمتملس ترد فيه الكنية نفسها  
إني كساني أبو قابوس مرفلة

كأنها سلخ ابكار المخاريط

ونحن نعرف أن هذا الشاعر لم يتصل بالنعمان بن المنذر . وبخاصة اذا اخذنا بالتاريخ الذي حدده شيخو لوفاته وهو عام ٥٨٠ م . (٥٦)  
٢ - إن الصفات التي تدخل ضمن اطار (قابوس) لا تنطبق اصلاً على النعمان بن المنذر . فقد كان الرجل دميم الحلقة ، أحمر ، أبرش قصيراً . وهذا ما قوى جانب خصومه

(٥١) - محمد التونجي . المعجم الذهبي ، دارالعلم للملايين ، بيروت ١٩٦٩ ص ٤٥٧

٥٢ - حمزة الاصفهاني . تاريخ سني ملوك الارض والأنبياء ص ٣٥

٥٣ - ابن الاثير - الكامل في التاريخ ج ١ - دار الطباعة الميرية - مصر ١٣٤٨ هـ ص ٢٢٠

٥٤ - محمود شكري الالوسي : بلوغ الارب في معرفة احوال العرب ج ٣ ط ٣ دار الكتاب

العربي - مصر ١٣٤٢ هـ ص ٢٠

٥٥ - ابن الاثير - الكامل في التاريخ ص ٣٤١

٥٦ - شيخو - شعراء النصرانية ص ٣٣٠ - ٣٤٨

في التهكم به . كذلك كان سريع الغضب . (٥٧)

٣ - إن الأصل الفارسي يدعو إلى التساؤل . ذلك أني لم أجد غير ملك واحد سمي بهذا الاسم على كثرة ما ذكره الأخباريون من أسماء ملوك الفرس . وما يميز الشك أن حمزة الأصفهاني يحذرننا في بدء حديثه عن ملوك الفرس بسبب كثرة الفساد فيما جاءنا من أخبار وروايات عنهم . (٥٨) ويبدو أن الطبري خالجه بعض الشك ، فنسب الاسم إلى واحد من أهل الكهف مع شيء من التحريف البسيط ، اذ يتول والتاسع قالوس . (٥٩)

٤ - هناك عدة أحداث وقعت على مر تاريخ المناذرة تجدها نسبت لأبي قابرس هذا . لكنك سرعان ما تلاحظ أن صاحبها عمرو بن هند أو المنذر أو غير النعمان المعني بإراستا . من ذلك أنه كان له يرمان يرم يرأس ويرم نعيم ، وأنه قتل عبيد بن الأبرص وأنه تنصر على يد عدي بن زيد

في حين يؤكد أنه كان عابد وثن . (٦٠)

كل ما ذكرت من القرائن يجعلنا قادرين على عدم الاعتماد على هذه الكنية ، برصفها أحد الأدلة التي تؤيد أن المقصود بالاعتذار هو النعمان بن المنذر . وسأحاول في الآتي أن أثبت أصلها وصاحبها :

ومهما يكن من أمر هذا الملك فإن البحث في سيرته يظل من شأن أهل التاريخ ، فلربما يكشف بحثهم ماخفي من سيرته . لكن كل الذي أردته هو هدي القارئ الكريم إلى تصور واضح لما يحيط بحياة النعمان بن المنذر من غموض .

وبد هذا من حقنا أن نسأل : من أين جاءت كل هذه السمعة للنعمان بن المنذر بحيث غطت أحياناً على سمعة غيره من الملوك الذين يحملون الاسم نفسه ؟

الذي أظنه أن ثمة عوامل قومية أضفت عليه هذا الحجم الكبير من الاهتمام . فاسمه يترن بمعركة لها وبد قومي مهم في التاريخ العربي ، واعني بها معركة ذي قار . إذ لأول

(٥٧) اليعقوبي-تاريخ المجلد الاول دار صادر-دار بيروت ١٩٦٠ ص ٢١١-٢١٢

ود. جواد علي: تاريخ العرب قبل الاسلام ج ٤ ص ٨٦

٥٨ - حمزة الاصفهاني - تاريخ سني ملوك الارض والانبيا . ص ١٣ - ١٤

٥٩ - الطبري - غوييه ج ٢ ص ٧٧٧

(٦٠) ابن عبد ربه، العقد الفريد ص ٢ ص ٢١٩ وقارنه بشيخو شعراء النصرانية ص ٤١٤ او حمزة

الاصفهاني-تاريخ سني ملوك الارض والانبيا ص ٩٤-٩٥



مره يتندر لهذه الأمة أن تنتصف لنفسها من الفرس . (٦١) وكان طبيعياً أن تبرز هذه المعركة أيام الصراع القومي بين العرب والفرس في العراق بالذات ، وإن يبرز اسم النعمان بن المنذر شهيداً وبطلا قومياً في معركة الإنسان العربي ضد الاجنبي . وقد دهشت تماماً عندما وجدت صاحب العقد الفريد لا يذكر غيره من ملوك المتأخرة والغساسنة إلا فيما ندر ، في الوقت الذي يبرز النعمان بن المنذر حامياً الكيان العربي ، المدافع عن هذه الأمة في خصومتها مع الأكاسرة . (٦٢) أليس هذا دليلاً على صحة تصوري للرجل ؟ والاكثر من هذا أن الصورة هذه علقت في ذهن همض الكتاب المحدثين ، فصار عنده المجاهد من أجل وحدة الأمة العربية وجمع كلمتها . لكن صاحب الرأي لم يكلف نفسه عناء الرجوع إلى ديوان النابغة ليرى أن الرجل الذي يتحدث عنه ليس النعمان بن المنذر وإنما النعمان بن الحارث ملك الغساسنة . (٦٣)

وبعد كل الذي قدمناه يحق لنا أن نتابع التحليل ماقبل عن صلة النابغة الذبياني بالنعمان بن المنذر . كآني والرواة عندما جعلوا النابغة - برصفاً أبرز شاعر في تلك الفترة - أقرب الشعراء إلى قلب هذا الملك ، تحيروا في نسج قصة الصلة ، وما اعترأها من جذب وشد . وبخاصة عندما وجدوا أن ديوان الشاعر لم يتقدم من مستلزمات القصة هذه خطأ واحداً إلا ما كان من أمر اعتذاره . فهم لا يعرفون تماماً متى بدأت صلته بالنعمان ، ولا يعرفون

٦١ - محمد احمد جاد المولى ، على محمد البجاوي ، محمد ابو الفضل ابراهيم - أيام العرب في الجاهلية - دار احياء الكتب العربية - مطبعة عيسى البابي الحلبي / مصر / ١٩٤٢ ص ٦٠  
٦٢ - العقد الفريد : ج ٢ ص ٩-١٠ - لاحظ طبيعة الحوار الذي تحدث به النعمان إلى جماعة من شيوخ العرب .

٦٣ - لقد اخطأ الدكتور محمد نجيب البهيتي عندما تصور ان المقصود بابيات النابغة  
وان يرجع النعمان نفرح ونبتهج ويأت معداً ملكها وربيعها  
ويرجع إلى غسان ملك وسؤود وتلك المني لو اننا نستطيعها  
وان يهلك النعمان تمر مطيعة ويخبأ في جوف العباب قطوعها  
هو النعمان بن المنذر ملك الحيرة ، وادعى ان هذه الابيات قالها النابغة معبراً عن عظم فاجعة العرب به يوم سجنه كسرى ، والصحيح ان المقصود بالابيات هو النعمان بن الحارث الغساني عند ماوردت انباء عن فقده .

د . نجيب محمد البهيتي - تاريخ الشعر العربي - دار الكتاب العربي - بيروت ١٩٦٧ ط ٣  
ص ٤٢ - ٤٣ للتأكد من صحة ماذهبنا اليه تراجع القصيدة في ديوان النابغة - تحقيق الدكتور شكري فيصل - ص ١٢٣

بالضبط لماذا غضب عليه ؟ ولا يدرون سبب العفو عنه أو لنقل سبب رجوعه إليه . (٦٤)  
ولكي لا استبق الأحداث واقطع برأيي في المسألة هذه ، سأتناول بالتحليل الأخبار  
عن حكاية غضب النعمان بن المنذر على النابغة .

١ - قصة المتجردة : اهتم الاخباريون بهذه القصة ، وجعلوها السبب الأهم في غضب  
الملك على الشاعر حتى بدت عند بعضهم ، وكأنها حدثت فعلاً . والقصة كما يرويها صاحب  
الأغاني « إن النابغة كان كبيراً عند النعمان خاصاً به ، وكان من ندمائه وأهل أنسه ، فرأى  
زوجته المتجردة يوماً وغشيها تشبيهاً بالفجاءة ، فسقط نصيفها واستترت بيدها وذراعها  
فكادت ذراعها تستر وجهها لعلالتها وغلظها ، فقال قصيدته التي أولها :

أمن آل مية رائح أو مغتدي عجلان ذا زاد وغير مزود  
فأنشدها النابغة مرة بن سعد القرمي ، فأنشدها مرة النعمان ، فامتلاً غضباً فأوعد النابغة  
وتهدده ، فهرب منه فأثى قومه ، ثم شخص إلى ملوك غسان بالشام فامتحهم » .  
كذلك يروي صاحب الأغاني القصة بشكل آخر فيقول : إن الذي من أجله هرب  
النابغة من النعمان أنه كان والمنخل بن عبيد بن عامر اليشكري جالساً عنده . وكان النعمان  
د ميماً أبرش قبيح المنظر وكان المنخل بن عبيد من أجمل العرب ، وكان يرمى بالمتجردة  
زوجة النعمان ، ويتحدث العرب أن ابني النعمان منها كانا من المنخل . فقال النعمان  
لنابغة : يا أبا أمانة صف المتجردة في شعرك فقال قصيدته التي وصفها فيها . فلحقت المنخل  
من ذلك غيرة فقال للنعمان : ما يستطيع أن يتول هذا الشعر إلا من جربه . فوفر ذلك في  
نفس النعمان . وبلغ النابغة فخافة فهرب فصار في غسان » . (٦٥)

والقصة كما تبدو ذات نسيج مهلهل ، لا تخرج عما يدور في أوساط الناس مما يتندرون  
به من خفايا القصور الملكية . ولهذا السبب أجمع الكتاب المحدثون على رفضها ، ولهم  
في رفضها أسباب مقبولة . (٦٦) كذلك وجدت ما يؤيد أنها تدخل ضمن الأخبار المتناقضة

---

٦٤ - محمد حسن نائل المرصفي : دراسة الشعراء - مطبعة الاستقامة - القاهرة ١٩٤٤ ص ١٧٧

- ١٧٨ -

٦٥ - الأغاني ج ١١ ص ٨ و ١٢ و ١٤

٦٦ - د . طه حسين - من تاريخ الأدب العربي ج ١ ص ٣٠٥ . د . شوقي ضيف - العصر  
الجاهلي ص ٢٧٧ . د . العشماوي - النابغة - ص ٧٩ - ٨٢ . د . الدسوقي : النابغة الذبياني

ص ١٧١

عن النعمان بن المنذر . فالمتجردة عند صاحب العقد الفريد زوج الأسود بن المنذر ، (٦٧) وعند يعقوبي زوج المنذر. (٦٨) يضاف إلى هذا أن صاحب الأغاني بدا وكأنه غير واثق من صحة مارواه لذلك تراه يقول فيما بعد: وقالوا: وكان المنخل يهوى هنداً بنت عمرو بن هند ..... قال : فبلغ عمراً خبر المنخل فأخذه فقتله » . (٦٩)

٢- الهجاء المزعوم : ذكر صاحب الأغاني أن السبب في هرب النابغة من النعمان أن عبد القيس بن خفاف التميمي ومرة بن سعيد بن قريع السعدي عملاً هجاء في النعمان على لسانه ، وانشدا النعمان منه أبياتاً

قبح الله ثم ثنى بلسن وارث الصائع الجبان الجهولا  
من يضر الأذى ويمجز عن ضرر الأقاصي ومن يخون الخيلا  
يجمع الجيش ذا الألوف ويغزو ثم لا يرزأ العدو فتىلا  
يعني بوارث الصائع النعمان . وكان جده لأمه صائغاً بمدك يتال له عطية . (٧٠) وقد نفى ابن قتيبة أن يكون هذا الشعر مما قاله النابغة. (٧١) كذلك يرفض المحدثون القصة بكل تفاصيلها لعدم وجود ما يبرر العداء بين النابغة وهذين الرجلين . عدا عن خلو الديوان من هذه الايات . (٧٢)

وخلاصة القول إن الرواة لم يتمكنوا من تحديد السبب الذي من أجله غضب النعمان على شاعر . ومن هنا وجدنا المحدثين يقطعون برفض ما اخترعته نخيلة الأقدمين من حكايات وأشعار حول هذه المسألة . (٧٣)

لكن الذي يثير العجب أن يلجأ المحدثون إلى تفسير يستمد وجوده من زوايا حضارية آنية ، يفوق حجم النابغة ومزلاته عند قومه ، عندما جعلوه سفيراً يشفع لقومه عند ملوك

٦٧- العقد الفريد ج ٥ ص ١٣٨

٦٨- يعقوبي : ص ٢١١ - ٢١٢

٦٩- الأغاني : ج ١١ ص ١٤ و ١٥

٧٠- الأغاني : ج ١١ ص ١٣

٧١- ابن قتيبة - الشعر والشعراء - ص ٩٩

٧٢- يراجع في هذا . د العشماوي - النابغة - ص ٨٣- ٨٥ وغيره . وديوان النابغة .

٧٣- د . طه حسين . من تاريخ الادب العربي ج ١ ص ٢٩٩ و . د . شوقي ضيف - العصر الجاهلي ص ٢٧٢

المناذرة والغساسة . وهكذا ارادوا لغضب النعمان أن يتخذ طابعاً سياسياً لأنه تحالف مع الغساسة اعدائه ومدحهم . (٧٤)

هناك عدة أسباب تدفعنا إلى عدم التسليم بوجهة النظر هذه نذكرها في الآتي :  
١ - إن ظهور الكيانات السياسية كان دافعاً مهماً على تفكك علاقة الشاعر بقبيلته . ولدينا ما يؤكد ضعف صلة النابغة بقبيلته . وهاك بعض الأسباب :

أ - كثرة الخلافات التي شبت بينه وبين شيوخ قبيلته . (٧٥)

ب - عدم اكترائه بالحروب التي خاضتها قبيلته . والا أين هو موضع حرب داحس والغبراء في شعره وهي التي شغلت بال غيره من الشعراء . (٧٦)

٢ - إن اعتذاريات النابغة لا تؤيد صحة وجهة النظر هذه . فهي في الغالب بين تذلل رخيص وبين دفاع عن نفسه لاحتل فيه القبيلة أية مكانة .

٣ - إن مكانة شاعر المدح في اي بلاط لا تؤهله لأن يقوم بهذه المهمة . فهو في الغالب شاعر متنازل عن حرية ، مندمج تماماً بأيديولوجية الممدوح ليشيع غروره . ولذا ترى تجربته انما هي تجربة ممدوحة لا التي يستقيها من عالمه الكبير . وقد كان في سيرة النابغة ما يؤكد هذا « ٧٧ » .  
من كل ماتقدم نستطيع القول انه لا الرواة القدامى ولا الكتاب المحدثون استطاعوا ان يقدموا لنا تفسيراً منطقياً لغضب النعمان على النابغة . وقد يكشف الآتي من البحث ما يجعل مسألة الصلة هذه موضع شك إن لم نقل موضع رفض .

وكما حار الرواة القدامى والمؤرخون المحدثون في ايجاد ما يجعل غضب النعمان مقبولا لدينا ، حاروا كذلك في تبرير عودته اليه . وسأحاول في الآتي تحليل الأخبار التي روت لنا قصة عودة النابغة إلى بلاط النعمان لتبين مدى تهافتها .  
ذكر صاحب الأغاني في عودة النابغة إلى المناذرة خبرين

---

٧٤- د . طه حسين . من تاريخ الادب العربي ج ١ ص ٣٠٤ . د . شوقي ضيف - العصر الجاهلي ص ٢٧٢ و د . العشماوي النابغة ص ٨٦

٧٥- في الديوان مجموعة من القصائد تكشف عن عمق الخلاف بين النابغة وزعماء ذبيان . كذلك يمكن للقارئ ان يراجع في هذا ما ذكره الدكتور الدسوقي - النابغة ص ١٤١ فقد بلغ بقبيلته أن رفضت نسبته اليها إضافة إلى ما ورد في شعراء النصرانية لشيخو ص ٧٠٩

٧٦- محمد نائل المرصفي - دراسة الشعراء ص ١٩٣ - ١٩٤

٧٧- انظر في هذا الالوسي بلوغ الارب - ج ٣ ص ٩٠ - ٩١ . ديوان النابغة الذبياني / تحقيق فوزي عطوى - بيروت ١٩٦٩ ص ١٣

أحدهما : قال حسان بن ثابت : قدمت على النعمان بن المنذر ، وقد امتدحته ، فأنتيت حاجبه عصام بن شهبر فجلبت اليه . فقال : إني لأرى عريباً ، أفعن الحجاز أنت ؟ قلت . نعم . قال : فكن قحطانياً . فقلت : فأنا قحطاني . قال : فكن يثريباً . قلت : فأنا يثربي . قال : فكن خزرجياً . قلت فأنا خزرجي . قال : فكن حسان بن ثابت . قلت : فأنا هو ..... قال : فإني أرسدك : إذا دخلت إليه فإنه يسألك عن جيلة بن الأيهم ويسبه فيراك أن تساعده على ذلك ..... فقال لي عصام : يتيت علي واحدة لم أوصك بها ؛ قد بلغني أن النابغة الذبياني قدم عليه ، وإذا قدم فليس لأحد منه حظ سواه ؛ فاستأذن وانصرف مكرماً خير من أن تنصرف مجفوأ ؛ فأقمت يبابه شهراً . ثم قدم عليه الفزاريان وكان بينهما وبين النعمان خلل ( أي خاصة ) وكان معهما النابغة قد استجار بهما وسألتهما مسألة النعمان أن يرضى عنه . فضرب عليهما قبة من آدم ، ولم يشعر بأن النابغة معهما . ودس النابغة قينه تغنيه بشعره

يادار مية بالعلياء فالسند

فلما سمع الشعر قال : أقسم بالله إنه لشعر النابغة ! وسأل عنه ، فأخبر أنه مع الفزاريين فكلماه فيه فأمنه . « ٧٨ »

هذا ما ذكره صاحب الأغاني . ولم أورد النص بأكمله ، ومن شاء المزيد فليرجع إلى الأغاني لكنني سأحاول تحليل الخير لنرى مدى صحته .

١ - إن النص يكاد لا يختلف عن تلك الوصايا التي امتلأت بها كتب الادب عن السلوك الذي يجب أن يعامل به الملوك . وهذه السمة تغلب عليه .

٢ - ورد في النص أن جيلة بن الأيهم كان معاصراً للنعمان بن المنذر . لكن الواقع التاريخي يكذب الرواية . ذلك أن جيلة لم يأت إلى الحكم إلا بعد موت النعمان . فالمسافة بينهما قد تتجاوز العقد ( ٧٩ ) .

٣ - يؤكد تولدكه أن حسان بن ثابت لم يخرج إلى الغساسنة أو المناذرة إلا بعد عام ٦١٠ . فهو أصغر سنّاً من النابغة وأنه يحدد عام ٥٦٠ م تاريخاً لولادته ( ٨٠ ) .

٧٨ - الأغاني . ج ١١ ص ٢٧ - ٢٨

٧٩ - انظر في هذا - تولدكه - امراء غسان - ص ٧٥ وحزمه الاصفهاني - تاريخ سني ملوك الارض والانباء ص ١٠٣ ،

٨٠ - تولدكه : امراء غسان ص ٤٥ - ٤٦ - ٧٧

٤ - ليس من المعقول أن يستجير النابذة بنزارة وهو الذي هجا سادتها وكان على خصومة دائمة معهم (٨١) .

وإمد هل يبقى لدينا من شك في أن الخبر موضوع ، ولا يمكن ان نقبله . وكأني بصاحب الاغاني خالجه بمض الشك فروى الخبر بصيغة اخرى . ولولا خشية الاطالة لذكرت الصورة الأخرى بأكملها . لكنني أروى بمضاً من الخبر : قال حسان بن ثابت : خرجت إلى النعمان ابن المنذر ، فلقيت رجلاً - وقال اليزيدي في خبره : فلقيت صائغاً من أهل فذك - فلما رأيته قال : كن يثربياً ، فقلت : الأمر كذلك . قال : كن خزرجياً ، قلت : أنا خزرجي قال كن نجارياً ، قلت : أنا نجاري ، قال : كن حسان بن ثابت ، قلت : أنا هو ... ويستمر صاحب الاغاني في ذكر الخبر حتى يصل في قوله على لسان حسان « فيينا إنا على ذلك وأنا معه في قبة له اذا رجل يرتجز حولها

أصم أم يسمع رب القبة ياأوهب الناس لعنس صلبة

ضراوة بالمشفر الأذوة ذات هباب في يديها جلبة

في لاحب كأنه الأظبة

قال فليح بن سليمان : أخذت هذا الرجز عن ابن دأب - قال : فقال : أليس بأبي أمامه ؟ قالوا : بلى . قال : فأذنوا له (٨٢) .

هذا باختصار مارواه صاحب الأغاني . ولنا في تحليل الخبر ورده سببان (١) يروي الطبري في سياق حديثة عن مولد محمد (ص) حكاية تشبه في الكثير مارواه صاحب الأغاني وهانا اختصر منها مايزيد تهافت حكاية الاصفهاني :

« من كسرى ملك الملوك إلى النعمان بن المنذر أما بعد : فوجه الي رجلاً عالماً بما أريد أن أسأله عنه . فوجه اليه عبد المسيح بن عمرو بن حيان بن بقلبة الغساني . فلما قدم عليه ، قال له : اعندك علم بما اريد أن أسألك عنه ؟ قال ليخبرني الملك ، فإن كان عندي منه علم ، والا أخبرته بمن يعلمه له . فأخبره بما رأى . فقال : علم ذلك عند خال لي يسكن مشارف الشام يقال له سطيط . قال : فأثته ، فأسأله عما سألتك ، وأتني بجوابه . فركب عبد المسيح راحلته حتى قدم على سطيط . وقد اشفى على الموت . فسلم عليه وحياه . فلم يحمر سطيط جواباً ،

٨١- ديوان النابذة : تحقيق د . شكري فيصل . يمكن ملاحظة القصائد التي قالها في هجاء شيوخ فزارة .

٨٢ - الأغاني : ج ١١ ص ٣٧ - ٣٨

فأنشأ عبد المسيح يقول :

أصم أم يسمع غطريف اليمن      يافا فصل الخطبة أعيت من ومن

فلما سمع سطيج شعره رفع رأسه وقال عبدالمسيح .... (٨٣)

إن هذه الحكاية تقترب في تركيبها من الحكاية التي رواها صاحب الأغاني ، وهذا مادفعنا إلى الشك . وقد عزز من شكنا كون كثير من الاخبار التي تحدثت عن سيرة حسان بن ثابت ، عبثت بها أيدي الرواة بحيث صرنا لانقبل ما يروى عنه إلا بعد طول نظر . (٨٤)  
(٢) إن مجرد وجود اسم ابن دأب في رواية صاحب الأغاني ، يجعلنا لانقبل بها ، لأن الرجل مشكوك في ذمته . (٨٥)

الآخر : قيل ان السبب في رجوعه الى النعمان بعد هروبه منه ، أنه باغته أنه عليل لا يرجى ، فأقلقه ذلك ، ولم يملك الصبر على البعد عنه مع علته ، وما ضافه عليه وأشفق من حدوثه به فصار اليه . (٨٦)

ويبدو ان المحدثين يرفضون القضية هذه في حين ية بلون بالقصة الاولى . من ذلك ما فعل الدكتور شوقي ضيف . وقد دفعه رفضه قصه المرض أن يسقط من شعر النابغة كل ما يتصل بها . (٨٧)

والحق ان الدكتور شوقي ضيف يبدو محقاً في رفضه ، وإلا كيف نجد في ديوان النابغة ما يؤيد ذلك الود العميق بين النابغة والنعمان . لقد مات النعمان قبل النابغة ولكننا لا نجد به يرثيه بيت واحد . فأين هو الحب ، وأين هو الوفاء ؟  
غير ان لنا في المسألة رأياً ربما يجعل من هذه القصة ما نقبل به عندما نضعها في سياقها الصحيح . وقبل ان انهي الحديث في خبر عودة النابغة ، أورد في الآتي ما يجعلنا لانقبل بالخبر جملة وتفصيلاً :

٨٣ - الطبري - غوييه ص ٩٨١ - ٩٨٣

٨٤ - انظر في هذا ، ابن سلام - الطبقات - ١٧٩ ، والدكتور شوقي ضيف - العصر الجاهلي - ص ١٦٥ والدكتور طه حسين - تاريخ الادب العربي - ج ١ ص ٢٩٩ ، فقد سبق لهم أن أكدوا أن كثيراً من أخبار حسان بن ثابت عبثت بها أيدي الرواة .

٨٥ - ياقوت الحموي - معجم الأدباء ج ٦ (ط مرجليوث) الطبعة الثانية ص ١١٠ والزركلي - الأعلام - ج ٥ ط ٣ ص ٢٩٨ لقد أكد الرجلان أن ابن دأب لم يكن بالرجل الذي يمكن أن نثق به .

٨٦ - الأغاني ج ١١ ص ٢٩

٨٧ - د . شوقي ضيف - العصر الجاهلي - ص - ٢٧٣

١ - يرى عدد من المؤرخين ان النعمان بن المنذر تولى عرش الحيرة سنة ٥٨٠ واستمر حكمه اثنتين وعشرين سنة (٨٨) وان النابغة ظل على صلته بالغساسنة بعد هذا التاريخ . فقد رثى النعمان بن الحارث المتوفي في حدود العقد الأول - القرن السابع الميلادي (٨٩) بتصديده التي مطلعها :

دعاك الهوى واستجھلتك المنازل وكيف تصابي المرء والشيب شامل (٩٠)  
بل الاكثر من هذا ان هو حدد عام ٦٥٠م تاريخاً لوفاة النعمان بن الحارث (٩١) ثم انقطع فيما بعد الى خلفه عمرو بن الحارث الذي تجاوز حكمه العقد لاول من القرن (٩٢) أما وفاة النابغة فكانت في هذه الفترة ايضاً . ويجعلها شيخو في عام ٦٠٤ م . نفسه . (٩٣) ترى متى تسنى له أن يذهب الى المناذرة .

وعليه ان الواقع التاريخي لايجعلنا نقبل بعودة النابغة الى بلاط المناذرة .  
٢ - إن مصير طرفة بن العبد وعبيد بن الابرص وعدي بن زيد يجعلنا نشك في امكانية عودة النابغة . ولو كان الامر بهذه السهولة ، لكان عدي بن زيد أولى بالصنح وبخاصة إذا سلمنا جدلاً بقبول الحكاية التي رويت عن دوره في تنم النعمان بن المنذر عرش الحيرة . وعليه فليس في سلوك ملوك المناذرة ، والنعمان بخاصة ما يحفز النابغة على العودة إلى بلاط الحيرة .

إن كل ما ذكرناه يدفعنا الى عدم الاقتناع بوجود ما يبرز غضب النعمان بن المنذر على النابغة اللهم إلا إذا استبدلنا كلمة الغضب بالحقد عليه ، لانه اختص بخصومه . وعند ذاك تسقط دعوى عودته أيضاً ، لأن كل الدلائل تشير إلى عمق الروابط بينه وبين الغساسنة مما يفنيه

---

٨٨ - روتشتاين .. ص ١١١

ص ١١١ DIE DYNASTIE DER LAHMIDENIM AL-HIRA BERLIN ١٨٩٩

٨٩ - تولدكة - امراء غسان ص ٤٢ - ٤٣

٩٠ - ديوان النابغة - تحقيق د . شكري فيصل ص ١١٣ وما بعدها

٩١ - الدسوقي - النابغة - ص ١٣٨ نقلا عن هوار

٩٢ - تولدكة - امراء غسان : ص ٥٧ وشيخو - شعراء النصرانية - يذكر الأصمعي أن عمرو بن الحارث

خلف النعمان بن الحارث ص ٦٧٨

٩٣ - شيخو - شعراء النصرانية - ص ٦٠٤ والدسوقي - النابغة ص ١٣٨



عن اللجوء إلى عدوهم . وهكذا فإننا نستبعد أن يكون المقصود بالاعتذاريات هو النعمان بن المنذر ملك الحيرة .

من هنا لابد أن يطرح السؤال الآتي : ترى من المقصود باعتذاريات النابذة بعد أن استبعدنا النعمان بن المنذر ؟ للاجابة عن هذا السؤال نقول : إن التاريخ الذي حدد لصلة النابذة بالدولتين يمتدنا إلى ثلاث فرضيات :

١ - أن يكون المقصود بالاعتذاريات هو المنذر والد النعمان . فقد ذكر يعقوبي ، أن النابذة كان قد شبب بأمراءه في قصيدته التي يتناول فيها :

سقط النصف ولم ترد إسقاطه فتناولته واتقتنا باليد  
فندر المنذر دمه ، فهرب إلى الشام إلى ملوك غسان ، ثم اعتذر إلى المنذر بشعره الذي يتول فيه :  
فإنك كالليل الذي هو مدركي وإن خلت أن المنتأى عنك واسع  
ويتول

فبث أن أبوا قباؤوس أوعدني ولا قرار على زار من الأسد (٩٤)  
إلا أن رواية يعقوبي تبدو غير مقبولة للأسباب الآتية :

أ - إنه جعل من قصته المتجردة السبب الوحيد لغضبه . وقد قلنا كلمتنا فيها .

ب - تأييد لنا أن النابذة لم يسبق له أن ارتبط بهذا الملك .

ج - إن الاسم الذي يتردد في الاعتذاريات هو النعمان وليس المنذر .

(٢) أن يكون المقصود بالاعتذاريات هو النعمان بن وائل بن الجراح الكلبي . والذي يدعو إلى مناقشة هذه الفرضية ، كون هذا الرجل يحتل مكانة في شعر النابذة . لكن الفرضية تبدو غير مقبولة لأننا لا نملك صورة واضحة عن علاقة النابذة به من جهة ، كما أنه ليس في الاخبار ما يشير إلى أن الصلة بينهما كانت قد تطورت إلى الحد الذي يجعله يضطر في لحظة من اللحظات إلى الاعتذار .

(٣) هناك شخصية مهمة في حياة النابذة تجاهلها الرواة على الرغم من أن الديوان ينير أمامنا درباً واضحاً قد يوصلنا إلى ترجيح الفرضية الثالثة . واعني بهذه الشخصية النعمان بن الحارث الملك الغساني . فقد خصه النابذة بالكثير من شعره الذي يكشف عن عمق الصلة بينهما . وكان

له - أي فعه إلى طلب الصفح - إذ ارتكب بوق هذا الملك الإمبر غضبه . وسأ-اول  
في الآتي تأكيد ما ذهبت إليه :

(١) جاء في الاخبار ما يشير إلى أن عهد الإبة - الغساسنة يود إلى أيام حكم الحارث  
بن جبلة صاحب -لمية . فقد ذكر ابن قتيبة أن الإبة - الإواني قصده رغبة في أن  
يلقى الأسرى من بني أسد فأطلقهم . (٩٥)

كذلك يتم لنا إلى إيران صورة واضحة عن عمق صلة الإبة - الغساسنة . من ذلك ما قاله  
الشاعر في البائية التي يماح بها عمرو بن الحارث

علي لعمرى نعمة بعد نعمة لسوالده ليست بذات عقارب (٩٦)  
وإذا عرفنا أن الإبة كان على صلة بالعمان بن الحارث الذي سبق أخاه عمراً عندها يضح  
لنا مدى المسافة الزمنية التي قطعها الإبة في بلاط الغساسنة .

ولعل هذا ما يجعلنا نقبل الرأي القائل إن اتصاله بملوك الغساسنة كان أولاً (٩٧) .  
لكن الذي نأخذ على صاحب الرأي توقفه عند هذا الحد ، مما جعله يورر بالتالي  
في نفس الحلقة المفرغة التي أعيت غيره و ثماً عن مبرر يدعو الإبة إلى التخلي عن الغساسنة  
والانجاء إلى المناذرة .

على أن عمق الصلة قد يبدو أكثر جلاءً عندما نأرجع أخبار الإبة مع النعمان بن الحارث  
ذلك أنه عرف هذا الملك الغساني ومنذ نعومة أظفاره ، وقال فيه آياتاً ذكرها صاحب الأغاني :

هذا غلام حسن وجهه مقتبل الخير سرريع الثمام  
للحارث الأكبر والحارث الد أصغر والأعرج خير الأنام  
ثم لهند ولهند فقد أسرع في الخيرات منه إمام  
خمسة آباء وهم ماهم هم خير من يشرب صوب الغمام (٩٨)  
وهي آيات تمثل في الكثير أسلوب الإبة في المدح ، لأنه عودنا إلى أواخر الطلب ، وإنما

٩٥ - ابن قتيبة - المعارف - دار الكتب / مصر / ١٩٦٠ ص ٦٤٢

٩٦ - ديوان النابغة - تحقيق د . شكري فيصل - القصيدة ص ٥٤

٩٧ - د . العشاوي - النابغة - ص ٢٢

٩٨ - الأغاني ج ١١ ص ٢٠-٢١ وابن قتيبة - المعارف - ص ٦٤٣ أثبت الآيات كما جاءت في الأغاني  
والمعارف وكنت قبل ذلك قد أثبتها كما جاءت في الديوان

يذكر الممدوح بما فعله آباؤه ، مما يجعله في وضع يصعب عليه التدخل من تقديم ما ينبغي الحصول عليه . (٩٩)

وهذا ماجعل بعض المؤرخين يرجحون نسبتها للنايفة ويتخذونها سنداً فيما ذكروه من اخبار ملوك غسان (١٠٠)

وعندما شب الخلاف بين النعمان بن الحارث وذيان وجدنا النايفة يتف مع صاحبه محذراً ناصحاً قومه ألا يتعرضوا بالأذى لأملاك الملك ، فيقول :

لقد نهيت بني ذبيان أمر وعن تربهم في كل أصغار (١٠١)  
والقصيدة تكشف عن معرفة جيدة بالنعمان عدا عن كونها تعداداً لصولاته ، مما يجعل خوفه منه مبرراً على خلاف ماتراه قبيلته

قد عيرتني بنو ذبيان خشيته وهل علي بأن أخشاه من عار  
ويدو أن النايفة الذي أراد أن يبق على بعض من حبال الوصل مع اهله أو من كانوا متحالفين معهم ، أتى ما أغضب هذا الملك . فقد ذكر الرواة في معرض حديثهم عن ومناسبة قوله قصيدته التي مطلعها :

لقد قلت للنعمان يوم لقيته يريد بني حن ببرقة صادر  
أن النعمان بن الحارث أراد غزو بني حن بن حزام وهم من بني عذرة ، فنهاه النايفة عن ذلك وأخبره أنهم في حرة بلاد شديدة ، فأبى عليه . فبعث الى قومه يخبرهم بغزو النعمان ويأمرهم أن يمدوا بني حن ، ففعلوا ، فهزموا غسان . (١٠٢)

وطبيعي وحالة هذه أن تحدث جفوة بين الملك وشاعره . ولعله ترك الغساسنة ، واتجه إلى اعماق الجزيرة ، ولا نقول إلى المناذرة ، إذ سرعان ما يعود الصفاء إلى تلك العلاقة . أما كيف عادت العلاقة الى سابق عهدها ، فإني وجدت في قصة مرض النعمان بن المنذر

---

٩٩- ايليا حاوي - النايفة - سياسته وفنه ونفسيته - دار الكتاب اللبناني - مطبعة مؤسسة خليفة -

بيروت ص ٧٧

١٠٠- المسعودي - مروج الذهب ج ٢ - منشورات الجامعة اللبنانية - بيروت ١٩٦٦ ص ٢٣٤ ،

ونولده - امراء غسان - ص ٣٦

١٠١ - ديوان النايفة : تحقيق د . شكري فيصل - القصيدة - ص ٨٠ وما بعدها .

١٠٢ - شيخو - شعراء النصرانية - ص ٦٨١ وديوان النايفة الذبياني - ضمن مختار الشعر الجاهلي أو دواوين

الشعراء الستة ط ٤ شرح وترتيب عبدالمتعال الصعيدي - مكتبة القاهرة ١٩٦٨ ص ٢٢٩

التي أشرت اليها من قبل ما يجعلها مقبولة : ، لو جعلنا المريدن هو النعمان بن الحارث وليس النعمان ابن المنذر . وقد وجدنا في الاغاني ما يشير الى أن اللقاء المزعوم بين حسان والنابعة كان قد تم في بلاط الغساسنة كما روى محمد بن صالح عن الواقدي . ( ١٠٣ ) وإني وإن كنت قد أثرت شكوكاً عن لقاء حسان بالنابعة من قبل ، واعترف الآن ان صاحب الاغاني لا يترقب بهذا حيث يتناول : ( ولعله غلط ) ، إلا اني اطلب من القارئ الكريم أن يمود قليلاً الى ديوان النابعة ففيه من الشواهد ما يزيد . صحة ما ذهبت اليه . ولعل أول ما يزيد هذا آيات النابعة التي يتناول فيها :

فإن يرجع النعمان نفرح وننتبهح ....

فهذه الايات ترىنا كيف جزع النابعة يرم جاءه خبر خروجه في غزو له كما يتناول الاصمعي وما أشاعه اعداء النعمان بن الحارث من انه قد هلك . وقد تكون نفس الغزوة التي نهاه النابعة عنها ، مما جعله يتبيل توبته . وهنا يجدر بي أن أشير إلى اختلافي مع الدكتور شوقي ضيف في موقفه من بعض مارواه الاصمعي من شعر النابعة . ذلك أني أرى صحة نسبة القصيدة التي مطلعها :

كتمت لك ليلاً بالحمومين ساهراً وهمين هماً مستكناً وظاهراً الى النابعة ، مع القول إن المقصود بها ليس النعمان بن المنذر وانما النعمان بن الحارث . ومن شاء الدليل فليقرأ القصيدة على مهل ، فلا بد ان يجد فيها ما يزيد على حكاية غزوة الملك الغساني ، وما تعرض له في هذه الغزوة . وإن شئنا دليلاً آخر فلإننا ندعو القارئ الكريم الى قراءة قصيدة النابعة في رثاء النعمان الغساني والتي مطلعها :

دعاك الهوى واستجهلتك المنازل وكيف تصابي المرء والشيب شامل فهي تتنفس في نفس الجو الذي قبلت فيه الرائية التي اشرت اليها . وبعد أليس في كل مذكرناه ما يبرر عمق الصلة بين هذا الملك الغساني والنابعة . وإني مضطر إلى أن اثبت في هذه اللحظة الأبيات التي يزعم البعض أنه رثى بها النعمان بن المنذر لتبين معاً عظم الفارق بين الرثائين :

من يطلب الدهر تدركه مخالبه والدهر بالوتر ناج غير مطلوب  
ما من أناس ذوي مجد ومكرمة ألا يشد عليه شدة الذيب

حي يبيد على عمد سراتهم  
 إني وجدت سهام الموت معرضة بكل حتف من الأجيال مكتوب (١٠٤)  
 ألا يمكن القول أن مثل هذه الآيات لا تناسب وما قيل عن صلة الآية بالنعمان بن المنذر. وإني  
 لأشك أن يكون الآية قد قالها، لبعدها كل البعد عن طبيعة عطائه الشعري. ألا يذهب القارى  
 الكريم إلى الاعتقاد بأن صلة الآية بالنعمان قد انقطعت بد موت النعمان أجل ظل على  
 صلته بهم. فقد اختصر بعمرو بن الحارث خالف النعمان ومدا، بقصيدة هي من غرر الشعر  
 العربي :

كلني لهمي يا أميمة ناصب

وليل أقاسيه بليء الكواكب

والخبر عن صلة الآية بملوك غسان ليست ذات بـ بـ زواني فحسب بل نراها في تأثره  
 بالأخلاقية المسيحية. فعدا الذي قيل عنه من أنه « ممن حرروا الخمرة والسكر والازلام في  
 الجاهلية » (١٠٥) إنا في إيران، إيهد بهذا اللقاء الروحي بين الشاعر وملوك غسان. فهو  
 عندما يمدح عمرو بن الحارث يظهر اعجاب بالأخلاقية المسيحية ويقول :

محلتهم ذات الإله وينهم قريـم فما يرجون غير العراقب  
 رفاق النعال طيب حجزاتهم يحبون بـ ريسان يوم السباب  
 يسونون أجسادا قديماً لنعيها بخالصة الأردن خضر المناكب  
 ولا يحسبون الخير لأشر بـ ولا يحسبون الشر خزيه لارب (١٠٦)

ان هذا الاعجاب يتحول عند الآية إلى دعوة عملية إلى التسامح ورفض اسلوب التضاحن  
 الذي كان سائدا في العلاقات القبلية والظاهر ان هذه الدعوة لم تلق استجابة من لدن قومه  
 الوثنيين فزادوا من عنف موقفهم السابي تجاهه. ان اصالة الخير التي تعمقت في نفس الآية  
 ربما كانت سبباً في ذلك الاعجاب الذي الذي لقيه من قبل النقاد المسلمين بـ بالحكم الذي  
 أصدره عمر بن الخطاب (ر) يوم جعله أشعر العرب. (١٠٧)

١٠٤ - الأغاني : ج ٢ ص ١٤٦ : وردت هذه الايات ضمن ترجمته لعدي بن زيد

١٠٥ - محمد بن حبيب - المحبر - مطبعة جمعية دائرة المعارف العثمانية - حيدرآباد ١٩٤٢ ص ٢٣٨

١٠٦ - ديوان النابغة الذبياني - ضمن مختار الشعر الجاهلي أو دواوين الشعراء الستة الجاهلية - شرح  
 وترتيب عبد المتعال الصميدي - القصيدة ص ٢٠٥

١٠٧ - الأغاني ج ١١ ص ٤ - ٥

٢ - إن المواطن التي كانت لبني ذبيان هي أقرب الى الشام منها الى العراق . وفي هذا يقول ديرنبورج « وكان بنو ذبيان يستقرون في جهة تسمى الشربة » . (١٠٨) وقد بحث عن هذا المكان فوجدت أنه موضع بين السليلة والريضة . وقيل اذا جاوزت النقرة ومادان تريد مكة وقعت في الشربة (١٠٩) . ويبدو من تحديد موسى أن أرض النقرة تمتد بين دمشق ونهر تبوك القديم - وهو معروف الآن بالزرقا - يحدها من الشرق جبل حوران والمنطقة البركانية الوعرة (١١٠) .

كذلك تتبعت مواطن القبائل الأخرى التي كانت متحالفة مع قوم النابغة فوجدتها في حوالي تبوك أو في الجهات الغربية من شمال الجزيرة العربية (١١١) . والأهم من هذا كله أنني أحصيت الأماكن التي يكثر ترددها في شعر النابغة فوجدتها لا تخرج عن سلطة الغساسنة الذين توغلوا في أعماق الجزيرة العربية حتى واحة العلا وخيبر وحائل (١١٢) . في حين لا يرد اسم الحيرة إلا مرة واحدة في الديوان ، وهو مرتبط برحالها .

والأدم قد خيست فتلا مرافقها مشدودة برحال الحيرة الجدد ومعروف ان الرحال هذه كانت مشهورة في العالم العربي آنذاك ، وهي لا تشكل بأية حال دليلا يؤكد معرفة النابغة بهذه المدينة . وما يجعلنا نتقنع بأثر العامل الجغرافي ما ذكره بلاشير من أن انجذاب ذبيان الى بلاط المناذرة كان الأكثر ندرة إذا ما قورن وانجذاب القبائل العربية الأخرى (١١٣) .

من كل ما تقدم يمكنني القول إن الواقع الجغرافي يتف مع الواقع التاريخي دليلا على صحة ما ذهب اليه من أن النابغة الذياني لم يتنكر يوماً للغساسنة ولم يتخل عنهم إلى

---

١٠٨ - د . السماوي - النابغة - ص ٢٢

١٠٩ - المقد الفريد - ج ٥ ص ١٤٧ - الحاشية

١١٠ - موسل . شمال الحجاز - ترجمة د . عبد المحسن الحسني - مطابع رمسيس - الأسكندرية ١٩٥٢ ص ٧٩

١١١ - موسل - شمال الحجاز - ص ١٤٣

١١٢ - موسل شمال الحجاز - ص ٣١ لولا خشية الإطالة ذكرت هذه المواضع والمناسبة ، لكنني ترك الأمر للقاريء الكريم

١١٣ - بلاشير - تاريخ الأدب العربي - ج ٢ ص ١٨٢

خصومهم المناذرة . وهذا بلا شك يدعم ما قلته من أن المقصود بالاعتذاريات كان النعمان بن الحارث على الأرجح .

بتي عليّ أن أتناول بالتحليل مسألتين لهما صلة بالرأي المطروح ، فلعل في مناقشي لهما ما يزيل شكاً قد يساور البعض في صحة ما ذهبت إليه :

(١) ورد في إحدى الاعتذاريات قول النابذة

ملوك واخوان إذا ما اتيتهم أحكم في اموالهم وأقرب

ترى الا يمكن أن يكون دليلاً على اتصال النابذة بملوك المناذرة ، عندما تغلب الآية كما فعلت وجعلت المقصود اعتذار أحد ملوك الغساسنة . للرد على هذا أقول إن لفظة ملك كانت تطلق كذلك على رؤساء العشائر وشيوخ المقاطعات . ففي حديث الرواة عن يرم شعـب جبلة انهم اطلقوا على لقيط بن الجون الكلبي لقب ملك (١١٤) لهذا اقول ان وجودها في شعر النابذة ليس دليلاً على كون المقصود بها ملوك المناذرة ، بل الأرجح أن يكون المقصود بها بعضاً من رؤساء العشائر وبخاصة اذا أمعنا النظر في الكلمة التي تليها (أخوان) فوجودها يمثل حداً بين ما ذهب البعض إليه وما اذهب اليه الان . ولعي لا اكون مخطئاً اذا قلت ان المقصود بـ (ملوك اخوان) شيوخ عذرة أو غيرهم ممن نرجح استجارته بهم ومد غضب النعمان عليه .

(٢) رب سائل يسأل عن موقفنا من الآيات التي ترد فيها كنية النعمان بـ (أبي قابرس) ، إذا لم يكن النعمان بن المنذر المقصود بالاعتذار ؟

للرد على هذا السؤال أذكر القارئ الكريم بما سبق ان قلته في الكنية نفسها ، مضيفاً الى ما سبق قوله السببين الاتيين :

١ - وجدت في كتب التاريخ التي اعتمدت على مصادر يرنانية ، أن الرومان كانوا يطلقون على بعض ملوك الغساسنة لقب (فلافيوس) ، كما سمو الحارث بن جبلة (باسيليوس) ومعناه في لسانهم الملك (١١٥) ألا يمكن ان تكون الكنية محرفة عن فلافيوس ، وبخاصة اذا عرفنا ان مثل كلمة قابرس المختومة بهذه اللسنيين اشد التصاقاً باللاتينية . وليس بعيد عن الازدهان ما فعله الاخباريون العرب بإسماء ملوك الرومان وكيف حرف بعضهم بشكل أو بآخر عن الأصل (١١٦)

١١٤ - د. جواد علي - تاريخ العرب قبل الاسلام ج ٤ ص ٩٣

١١٥ - جرجي زيدان - العرب قبل الاسلام - ص ٢٥٦

١١٦ - تولدكة - امراء غسان - ص ٧-٨ انظر كيف حرف انسكاسيوس إلى نوشر

وبعد هذا الا تكون كلمة فلافيوس أقرب إلى قابرس ، وعندما يكون إبريقابرس هو النعمان ابن الحارث .

ب- واذا سلمنا جدلا بأن الكنية تختص بالنعمان بن المنذر ، فان قراءة دقيقة للاعتذاريات تكشف عن امكانية حذف الأبيات التي ترد فيها هذه الكنية . ذلك أني احسست ان الأبيات التي احتوت الكنية كانت في الغالب قد فرضت على القصيدة مما أدخل بالبناء الداخلي ، ولو حذفت لاستقامت للقصيدة وحدتها .

من كل ماتقدم يمكنني القول ان الاخباريين هم الذين صنعوا هذا الاطار التاريخي المتناقض والمتهاافت للاعتذاريات بما يتلاءم ومتطلبات عصرهم ، وقد سائرهم في هذا الكتاب المحدثون . في حين يستطيع القارئ الكريم ان يجد من الأدلة مايتنبهه بأن المقصود بالاعتذاريات ليس النعمان بن المنذر بل النعمان بن الحارث . وإني لأذهب إلى أكثر من هذا فأنتفي ان يكون النابذة قد اتصل بالمناذرة ومنحهم شيئاً من عطائه الشعري .